الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٥م

في قاعة مسرور، إسلام آباد ببريطانيا بمناسبة الجلسة السنوية المنعقدة في قاديان

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

اليوم هو آخر أيام الجلسة السنوية في قاديان بفضل الله، فقد مضت هذه الأيام الثلاثة بفضل الله مستنزلة بركاتِ الله، وكما كنت أخبرتكم في خطبة الجمعة أن الجلسة أقيمت في الأيام نفسها في عدة بلاد أفريقية أيضا أي في نيجيريا وساحل العاج وغينيا بيساو وغينيا كوناكري وتوغو وبوركينافاسو ومالي وزمبابوي، ولقد وفقنا الله سبحانه وتعالى بفضله لنشاهد ونسمع بعضنا البعض بواسطة ايم تي ايه، حيث تم التواصل مع بعضها و لم يتم التواصل مع البعض لمشاكل تقنية. على كل حال خمسة أو ستة منها متواصلة معنا، فقد مكّننا الله سبحانه وتعالى لمشاهدة بعضنا البعض والاستماع إليهم أيضا. فالأحمديون في هذه البلاد في وقت واحد يستمعون إلى كلامي ويرونني أيضا ونحن أيضا نراهم، وهذا أيضا إنجاز الله سبحانه وتعالى وعدَه مع المسيح الموعود عليه السلام. باختصار حين نلقي نظرة على تاريخ الجلسة السنوية نرى الجلسة التي عُقدت قبل ١٣٠ من اليوم أي الجلسة الكاملة التي أعلن عنها سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام. صحيح أن الجلسة أقيمت قبلها في عام ١٨٩١ أيضا لكنها كانت ليوم واحد، وكان التركيز فيها على الجانب التنظيمي فقط، وكان مولانا عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه قرأ على الحضور كتيبا جديدا لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام "الحكم السماوي". باختصار تعد الجلسة المعقودة في 1891 هي الأولى في تاريخ الجماعة. أما الجلسة التي نشر سيدنا المسيح الموعود الإعلان عنها رسميا بأنها ستعقد في تواريخ محددة معينة فهي في رأيي جلسة عام ١٨٩٢، حيث بيَّن حضرته أن الغاية من تلك الجلسة هي إحراز التقدم دينيا وأخلاقيا وروحانيا، وركز عليه السلام على هذا كثيرا. ولنيل هذا الهدف حصرا تُعقد الجلسة اليوم بفضل الله في كل بلد توجد فيه الجماعة الإسلامية الأحمدية. في جلسة ١٨٩١ القصيرة حضر خمسة وسبعون شخصا وانتهت الجلسة خلال سويعات. أما في الجلسة المعقودة رسميا في ١٨٩٢ فقد حضر

فيها ٣٢٧ شخصا، واليوم يترل على الجماعة أفضال الله بغزارة حيث يرينا الله ﷻ آلاف الحضور في كل بلد، أفلا يشكِّل ذلك إنجازا لوعود الله التي قطعها مع المسيح الموعود عليه السلام وتأييداته؟ بلى ومن المؤكد، وإن لم يُغمض المعترضون وعميانُ القلوب عيونهم فهذا الأمر الوحيد يكفي ليريهم تأييد الله ونصْرَه ويثبت لهم صدقَ المسيح الموعود عليه السلام. على كل حال إنها تأييدات الله ﷻ وفضلُه سواء رآها هؤلاء أم لا، وتحقُّقٌ لوعود الله ﷻ مع المسيح الموعود عليه السلام ونرى مشاهده اليوم. وهذا ليس ادعاء باللسان فقط بل العالم كله يرى وإن عين الكاميرا وشاشة التلفاز تنقل لنا كل هذه المشاهد في الوقت نفسه. إن أفضال الله ومننه هذه تلقي على عواتقنا بعض المسئوليات أيضا، فقد اجتمعنا لحضور الجلسة، والأحمديون يستمعون إلى فعاليات الجلسة جالسين في شتى بلاد العالم ويرون المشاهد أيضا، وعلينا أن نؤدي واجباتنا لكسب الفيض من هذا الفضل ولتحقيق هذا الهدف، ولا بد لنا من إنجاز ما وعدْنا وعهدنا مع المسيح الموعود عليه السلام بانضمامنا إلى هذه الجماعة، ولا بد لنا من إحداث التغييرات الطيبة في نفوسنا.

ومن هذا المنطلق سمعتم في أيام الجلسة عدة خطب تربوية وتعلمية وعلمية وروحانية أيضا، وفق الله ﷻ جميع الذين قرأوا على مسامعكم هذه الأمور والذين استمعوا إليها للعمل بها أيضا، لكي ننال الغاية المتوخاة من هذه الجلسة، باختصار فمن هذا المنطلق سألفت انتباهكم الآن إلى بعض الأمور، التي وعدْنا المسيح الموعود عليه السلام عند البيعة أننا سنعمل بها، فقد قطعنا وعودا كثيرة بالبيعة أننا سنستجيب لأوامر الله ﷻ ورسوله ونتأسى بأسوة النبي ﷺ. لكنني الآن نظرا لضرورة الوقت سأتحدث عن بعض الأمور انطلاقا من الشرط الثاني للبيعة، وإذا طبقنا هذه الأمور على حياتنا وعشنا بحسبها فنستطيع أن نخلق انقلابا عظيما في نفوسنا وفي العالم أيضا. فالعهد الذي قطعناه مع المسيح الموعود عليه السلام، ينص شرطه الثاني على: "أن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يقرب الزنا وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميعَ طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًّا ومُهمًّا." فقد ذكر عليه السلام فيه تسع سيئات، ولفت أنظارنا إلى أن الإنسان إذا اجتنب هذه السيئات استطاع التقدم روحانيا وأخلاقيا، والآن نرى ماذا قال الله ﷻ ورسولُه ﷺ والمسيحُ الموعود عليه السلام عن ذلك وأهميته.

قال الله ﷻ عن الكذب: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠)

وقال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسير ذلك: لقد كتب القرآن الكريم لكم أحكاما طيبة عدة، أحدها أن اجتنبوا الشرك اجتنابا تاما، فالمشرك محروم من مصدر النجاة. ولا تكذبوا لأن في الكذب أيضا نصيبا من الشرك.

ثم قال عليه السلام موضحًا أكثر: لقد عدّ القرآن الكريم الكذب مساويا للوثنية، كما قال الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي اجتنبوا رجس الأوثان ورجسَ الكذب.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥) فهذا هو معيار الصدق، الذي يجب على كل أحمدي أن يسعى جاهدا للارتقاء إليه، بحيث يجب أن لا يمتنع عن الشهادة حتى على نفسه وأحبته.

ثم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣) فهذا التوجيه البيِّن أيضا يكفي لهز كياننا. ينبغي أن نفحص أنفسنا بمنتهى الدقة، ونرى ماذا يريد الله منا. فما أشنعه من فعلٍ الشرك وما أقبحه من فعلٍ الكذب فهو يساوي الشرك. فبكل ألم وشدة نهى النبي ﷺ عن الكذب، فقد ورد في رواية: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيه رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ" قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: "الْإِشْرَاكُ بِاللَّه وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ". أي أنه ﷺ يتألم من ذلك كثيرا.

فكم يترشح الاضطرابُ من قوله هذا! إذا فحصنا نفوسنا فسنجد الكثيرين منا يلجأون إلى قول الزور في عدة مناسبات، فالأمر يتطلب التأمل الكثير، هل نحن ننجز عهدنا؟ أما النبي ﷺ فكان يعدّ قول الزور من الكذب حتى في المزاح، فهذه المعايير يجب أن نسعى لتحقيقها.

وفي رواية أخرى عَنْ عَبْدِ اللَّه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ (هذا أيضا يتضمن الكذب) وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ" (هنا أيضا الكذب). ففي كل أمر يوجد الكذب وإن كانت الأحوال الثلاثة مختلفة. فالموضوع يتطلب التفكر والخوف الكثير. والأمور واضحة لا تحتاج التوضيح أكثر. علينا أن نفحص أوضاعنا واضعين هذه الأمور في الحسبان.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ناصحًا أبناء الجماعة: اعلموا يقينا أنه لا شيء نحسٌ مثل الكذب. يقول الناس الماديون عادة إن الصادقين يُؤاخَذون. ولكن كيف أقبل ذلك؟ فقد رُفعت عليّ سبع قضايا لكنني بفضل الله تعالى لم أُضطر لأتكلم كلمة كاذبة واحدة في أي منها. وليخبِرني أحد إذا كان الله جعلني أتعرض لهزيمة في واحدة منها. إن الله تعالى يؤيد الصادق وينصره من عنده. فهل يمكن أن يعاقب عز وجل صادقا؟ لو حدث ذلك لما تشجع أحد في العالم على قول الصدق، ولارتفع الإيمان بالله ولمات الصادقون وهم أحياء.

الحق أن بعض الناس عندما يعاقَبون عند صدق المقال فلا يكون سببه عائدا إلى قولهم الصدق بل يكون ناتجا عن بعض سيئاتهم الأخرى الخفية أو لكذبٍ آخر، (أي يكون لتلك العقوبة سببٌ آخر، ويُبطش بهم لارتكابهم الظلم في محل آخر. إذن يجب الاحتفاظ بهذه النقطة دوما، إذا وضع الإنسان هذا الأمر في البال، تخلَّص من العديد من الذنوب والخطايا، وفي هذا المقام حصرا يتمكن من الوفاء بعهده.) لأن الله تعالى يعلم سلسلة سيئاتهم وشرورهم، أي تكون لهم أخطاء أخرى كثيرة فيعاقَبون على أيٍّ منها. أي عند الله سبحانه وتعالى قائمة أعمالنا، لذا يجب الدوام على الاستغفار. في المجتمع المعاصر، نرى الكذب متفش في كل مكان، وحين نرى ذلك يخطر ببالنا أن قليلا من قول الزور ليس من الذنب. لكن تذكروا أن هذه الأفكار تسوق الإنسان إلى أن يرتكب كذبات كبيرة، وتتلاشى أهمية الصدق. فعلى كل أحمدي أن يرفع معايير صدقه. إذا أحرزنا هذه المعايير للصدق، فسوف تختفي كثير من النزاعات والمشاكل. يجب أن نتذكر أمرا أهمَّ أننا بايعنا المسيح الموعود عليه السلام لإقامة ملكوت الله في الدنيا، أما إذا بدأنا اللجوء إلى الكذب، فسوف نقيم ملكوت الشيطان بدلا من ملكوت الله، فالموضوع يتطلب كثيرا من الخوف والتفكير.

ثم إن الأمر الذي حذَّرَنا عليه السلام من ارتكابه في هذا الشرط نفسه هو الزنى. في العصر الراهن قد تجاوز الإعلام كل الحدود في نشره، ففي هذه الأوضاع علينا أن نبذل مساعي حثيثة لوقاية أنفسنا وأجيالنا منه، فمشاهدة الأفلام السيئة وإنشاء الأفكار السيئة في القلب، يُعَدُّ من الزنى، ووسائل الإعلام تنشر هذه الأمور التي تسوق الإنسان إلى الخبائث والفواحش بانتظام. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢) فثمة حاجة ماسة للحذر. فالإعلام ينشر هذه السيئات. حتى في برامج الأطفال تُعرض الفواحش التي تسمم قلوب الأولاد. ففي هذه الأوضاع علينا أن نقوم

بجهاد مضطربين، فليس المراد من الزنى هنا الزنى حرفيا، بل تشمل كل نوع من الزنى، أي الأمور التي تورط في السيئات وتقود إلى الفواحش والقذارة تعد من الزنى.

ثم يقول الله ﷻ محذرا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

لو تأملنا في الموضوع لوجدنا أن الذين يرتكبون الفواحش يواجهون أنواع العذاب بإصابتهم بأمراض مختلفة في هذه الدنيا، وأما الآخرة فالله وحده أعلم بِم سيُعامَلون وكم ستكون معاملتهم شديدة. ليت هؤلاء الناس يعقلون! فعلينا أن ننقذ أنفسنا وأجيالنا أيضا من هذه السيئة المنتشرة في المجتمع بسرعة، وكذلك يجب أن ننصح الآخرين أيضا لإبقاء البيئة حولنا نقية. الحق أن ترويج هذه الفحشاء أيضا جانب لنشر الإلحاد بل هي خطة ناشري الإلحاد في الحقيقة، وجزء من سياسة الذين يريدون إبعاد الناس من الله ومن الدين. فعلينا أن نسعى جاهدين للإسهام في الجهاد ضد هذه الظاهرة.

لقد ورد في حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا".

هذه نبوءة عن الزمن الراهن، وهذا ما نراه ظاهرا للعيان ومع ذلك لا توجد خشية الله. فعلى الأحمديين أن يجنِّبوا أنفسهم من هذا السخف واللغو بل يجب أن يجنِّبوا الآخرين أيضا كما قلت آنفا. ندعو الله تعالى أن يهب الناس عقلا وفطنة ليفهموا رسالتنا، ويوفقنا أيضا لتبليغ هذه الرسالة ونجتنب بأنفسنا من الأمور المذكورة آنفا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام ناصحا إيانا لاجتناب الفواحش: "تخبرنا التجربة بل تصرخ في وجهنا بصوت عال أن النظر إلى النساء من غير المحارم لا يؤدي إلى عاقبة حميدة قط، فقد شاع الزنى في أوروبا، لكن ما سببه؟ ليس سببه إلا أن اعتاد أهلها على النظر إلى النساء بحرية، فأذنبت الأبصار أولا ثم أصبح العناق أمرًا عاديا ثم تقدموا على ذلك كثيرا".

هذا ما نراه حادثا في هذا المجتمع المعاصر، لذا علينا أن نفكر في هذا الموضوع جيدا كوننا مقيمين هنا، ولم يعد الأمر مقتصرا على هذا المجتمع بل جعلت وسائل الإعلام والحرية المزعومة منتشرة في كل بلد في العالم. والسيئة الأخرى التي أُمرنا باجتنابها بوجه خاص هي سوء النظر. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور)

يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحا هذه الآية: أي قل لهم ألا ينظروا لغير المحارم، ولا إلى مواضع الشهوة، ولا يحدِّقوا بالوجه، وألا يقع نظرهم على الوجه دون وازع ورادع. وألا يطلقوا العنان لبصرهم -لا بشهوة ولا بغير شهوة- لأن ذلك مآله العثار في نهاية المطاف. أي لا يمكن صون الطهارة كاملاً عند إطلاق العنان للبصر، بل يتعرض الإنسان للابتلاء أخيرا. وما لم تتطهر العين لا يمكن أن يتطهر القلب ولا يُنال المقام الأزكى الذي يجب على كل طالب حق أن يخطو إليه. والآية المذكورة تعلِّم المؤمنين وجوب حفظ فروج الجسم كلها التي يمكن أن تدخل السيئة من خلالها. إن كلمة الفروج المستخدمة في الآية الكريمة تضم كُلاًّ من الأعضاء الجنسية والأذنَ والأنفَ والوجه.

لاحِظوا الآن، ما أعظم وما أسمى هذا التعليم إذ لم يُشدّد على أي جانب إفراطا أو تفريطا بغير وجه حق، بل رُوعي فيه اعتدالٌ حكيم. والقارئ لهذه الآية سيعرف فورا أن الهدف من وراء الأمر بعدم إلقاء النظرة دون وازع ورادع في الآية جاء لكي لا يقع الناس في الابتلاء في وقت من الأوقات، وألا يتعرض أي واحد من الفريقين -الرجل والمرأة- للعثار. أما في الإنجيل فقد أُعطي تعليم الحرية المطلقة، وجُعل مداره على نية الإنسان الخفية فقط، فالعيب والنقص في هذا التعليم لا يحتاج إلى أي توضيح. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية المجلد١٥)

إذن، لقد أمر القرآن الكريم الرجالَ والنساء معا بغض البصر، وبذلك وطّد دعائم الحياء لئلا تبقى إمكانية انتشار أي سيئة. فلو حاولنا تأصيل هذه المعايير عندها فقط سيقوم مجتمع طاهر ونزيه. الأمر المذكور لا يقتصر على غض البصر ظاهريا فقط بل ما يُبثّ في هذه الأيام من برامج سيئة وعارية عبر التلفاز والانترنيت ووسائل الإعلام التي ذكرتها سابقا، يجب أن نكون حذرين بشأنها أيضا ولا سيما يجب أن يجتنبها الشاب، وإن كانت هناك بعض الشكاوى تصلني عن الكبار في السن أيضا. فإن كنا نريد نيل رضا الله تعالى فلا بد لا أن نصلح أنفسنا بكل دقة ويجب أن ننصح أولادنا أيضا. كان النبي

ﷺ يحذر الرجال والنساء كثيرا من رؤية الأقارب من غير المحارم، فقد جاء في حديث عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالْحِجَابِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: احْتَجِبَا مِنْهُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا وَلَا يَعْرِفُنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ. (سنن الترمذي)

إذن، هذا هو المستوى الذي كان النبي ﷺ يقيمه. وفي ذلك ردٌّ على النساء والرجال الذين يثيرون مثل هذه الأسئلة في الجماعة ويقولون بأن الجماعة تشدد على الحجاب أكثر من اللازم ونظريتها بهذا الشان قاسية جدا.

ثم هناك سيئة أخرى نصح المسيح الموعود عليه السلام باجتنابها بوجه خاص وذكرها ضمن شروط البيعة أيضا وأخذ العهد لاجتنابها وهي الفسق والفجور. لقد ورد في القرآن الكريم تحذير شديد عن مرتكبي الفسق والفجور حيث ورد فيه: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (العنكبوت: ٣٥). إذن، هذا مقام خوف شديد. فعلينا أن نستعيذ بالله دائما ونكون مستغفرين إياه. إن الفسق منتشر في كل مكان في العالم هذه الأيام. ثم يقول الله تعالى في آية أخرى عن الفاسقين: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (الأحقاف: ٢١)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام محذّرا إيانا من الفسق والفجور: وإن قال أحد بأنني أتمنى أولادا صالحين وخاشعين لله وخداما للدين لكان قوله هذا ادّعاء محضا ما لم يصلح حالة نفسه. فإذا كان يعيش بنفسه حياة الفسق والفجور ويقول بلسانه بأنني أتمنى أولادا صالحين ومتقين فهو كاذب في ادعائه؛ إذ من الضروري قبل طلب الأولاد المتقين أن يصلح نفسه أولا ويجعل حياته حياة التقوى عندئذ ستُسفر أمنيته هذه عن نتيجة مرضية ويستحق أولادا يُعَدّون في الحقيقة مصداق "الباقيات الصالحات". أما إذا كانت الأمنية فقط أن يبقى اسمه ويرث الأولاد أملاكه وإرثه أو يُعدّ شخصا كبيرا فإن هذه الأمنية مثل الشرك عندي." إذن، علينا أن نفحص أنفسنا وأولادنا من هذا المنطلق بدقة متناهية.

لقد بايعنا المسيح الموعود عليه السلام عاقدين العهد بعدم الظلم، وقد حذّرنا القرآن الكريم بهذا الشأن كثيرا فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (الزخرف: ٦٦). أما الذين يجتنبون الظلم فيبشرهم

الله تعالى بشارات عظيمة فيقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٣)

يقول رسول الله ﷺ في بيان عاقبة الذي يرتكبون الظلم والاعتداء: هَلْ تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ قَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ". (مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين) أي ستُردّ صلواته وصيامه وزكاته كلها بسبب ارتكابه الظلم.

هناك رواية أخرى في صحيح البخاري تشرح الرواية المذكورة أعلاه، فقد جاء فيها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ". (صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب)

وفي رواية عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: "اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ". (صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: ارحموا عباده، ولا تظلموهم لا باللسان ولا باليد ولا بحيلة من الحيل. واسعوا جاهدين لخير الخَلْق دومًا. لا تتكبروا على أحد ولو كان مرؤوسَكم، ولا تسبّوا أحدًا ولو كان يسبّكم. كونوا مساكين حلماء صالحي النية مواسين للخَلق، لتكونوا من المقبولين. كثيرون هم الذين يتحالمون ولكنهم من الداخل ذئاب، وكثيرون مَن هم أصفياء في الظاهر ولكنهم من الباطن ثعابين؛ لن تُقبَلوا في حضرة الله تعالى ما لم يكن ظاهركم وباطنكم واحدا. ارحموا الصغار وأنتم كبار بدلاً من احتقارهم، وعِظوا الجاهلين وأنتم علماء بدلاً من إذلالهم من كبرياء، واخدموا المساكين وأنتم أثرياء بدلاً من التكبر عليهم من خُيَلاء... تخلَّوا عن أنانيتكم من كل وجه، ولا تباغضوا، وتذلّلوا ذلّةَ الكاذب وأنتم صادقون لكي يُغفر لكم، واتركوا تسمين النفس لأنّ الإنسان السمين لا يقدر على الدخول من الباب الذي نوديتم إليه. كم هو شقيٌّ ذلك الإنسان الذي لا يؤمن بهذه الكلمات التي خرجتْ من فم الله وبيّنتُها أنا. إن كنتم تريدون أن يرضى الله عنكم في السماء فكونوا متحدين فيما

بينكم اتّحادَ الشقيقين التوأمَيْن من بطن واحد. إنّ أكرمَكم مَن هو أكثرُكم غفرانًا لأخيه، وشقيٌّ مَن يعاند ولا يغفر، فليس مني في شيء.

خافوا لعنة الله كثيرًا، فإنه قدُّوس وغيور. الفاجر لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. والمتكبّر لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. والظالم لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. والخائن لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى... ارحموا مَنْ هُم تحت أيديكم وأزواجَكم وإخوانَكم الفقراءَ، لتُرحموا في السماء. (سفينة نوح)

فهذه الأمور تستدعي انتباها خاصا، وإنه لمقام خوف، وعلينا أن نستعرض أنفسنا كل حين في أمورنا اليومية.

ثم أخذ حضرته عليه السلام منا عهدا أن نجتنب الخيانة. قال الله تعالى عن عاقبة الخائنين: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء:١٠٨)

وهنا يجب أن نتأمل فيما إذا كنا نسعى لأداء حق أمانة البيعة فلا يحدث فيها أي نوع من الخيانة؟ هذا الأمر أيضا جدير بالتأمل.

ورد في حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ". (سنن النسائي، كتاب الاستعاذة)

لقد قام المسيح الموعود عليه السلام بتنبيه شديد بخصوص الخيانة، فقال: والذي لا يتوب توبةً نصوحًا من كل معصية وكل عمل سيئ كشرب الخمر والميسر والنظر إلى الحرمات والخيانة والتصرف غير المشروع، فليس من جماعتي.... كل امرئ يخون زوجته أو امرأة تخون زوجها، فليس من جماعتي. (سفينة نوح)

ثم قال عليه السلام: إن خلق الإنسان يضم في طياته نوعين من الجمال. أحدهما حُسن المعاملة، أيْ أن يراعي الإنسان في أداء كافة أمانات الله تعالى وعهوده ألا يفوته شيء منها قدر الإمكان، (ومن أمانات الله وعهوده عهد البيعة الذي قطعناه مع الله بواسطة المسيح الموعود عليه السلام) كما يشير إلى ذلك لفظ ﴿رَاعُونَ﴾. كذلك من واجبه أن يعير الاهتمام نفسه بأمانات الناس وعهودهم، أي يتّقي في حقوق الله وحقوق العباد حق التقاة. فهذا هو حُسن المعاملة، أو قولوا إن شئتم إنه الجمال الروحاني. (البراهين الأحمدية ج٥)

هذا هو الجمال الروحاني الذي كان حضرته عليه السلام يريد أن يرى المؤمنين فيه. ونبّه بشدة الخائنين. فقال: "إن الإيمان بأن الله واحد يستلزم عدم غصب حقوق مخلوقه، فالذي يغصب حقوق أخيه ويخونه فهو لا يؤمن بـــ لا إله إلا الله."

ثم قال عليه السلام: "هناك قلة قليلة من الذين يثبتون صادقين في تسديد الدَّين، والناس لا يهتمون به مع أنه ضروري جدا. النبي ﷺ ما كان يصلي صلاة الجنازة على مَن كان عليه دَين. يلاحَظ أن الناس يأخذون الدَّين بكل تواضع وإخلاص، ولا يسدّدونه بالبشاشة نفسها بل يحدث شيء من النزاع حتما عند التسديد. هكذا يُعرف صدق الإيمان." (الملفوظات ج٩)

فالذين يحسبونه أمرا هينا ويرفعون القضايا في المحاكم ويماطلون فعليهم أن يعلموا أنه ليس أمرا هينا، والحق أن مثل هؤلاء الناس في الحقيقة لا يوقنون بـــ لا إلا إلا الله، ولا يوقنون بوحدانية الله.

والأمر التالي الذي أخذ حضرته عليه السلام منا العهد عليه هو اجتناب الفساد من كل نوع. ولقد أمر الله تعالى باجتناب الفساد في مواضع عديدة، فقال في موضع:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٨)

عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: "اسْتَنْصِتْ النَّاسَ، فَقَالَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ". (صحيح البخاري، كتاب العلم)

هذا ما يقوم به المسلمون اليوم، هل من شأن المؤمنين أن يضربوا رقاب بعضهم البعض مع أن النبي ﷺ سمى الذين رغم كونهم مسلمين يضربون رقاب بعضهم البعض كفّارا. رحم الله تعالى الأمة المسلمة كما وفّقنا لأداء واجبنا ولتبليغهم دعوة المسيح الموعود عليه السلام ووفقهم للإيمان به عليه السلام.

قال المسيح الموعود عليه السلام وهو يوصي باجتناب كل نوع من الفساد:

"عليكم ألا تختصموا مع الذين يهجرونكم بسبب انضمامكم إلى جماعة أسَّسها الله تعالى بل ادعوا لهم في السرّ ليهبهم الله البصيرة والمعرفة التي وهبكموها بفضله. برهنوا بمثالكم الطيب وسلوككم الحسن على أنكم قد سلكتم الصراط القويم. اسمعوا! لقد بعثني الله لأَعِظكم بالتكرار أن تجتنبوا كلّ أنواع الفساد والشر. واصبروا على الشتائم، وقابلوا السيئة بالحسنة. فإذا أراد أحد الفساد فالأنسب أن تنسحبوا من هناك ورُدُّوا عليه باللين.... حين يبلغني أن أحدا من جماعتي قد اختصم مع أحد فلا أحب تصرفه هذا قط، كما أن الله تعالى أيضا لا يحب للجماعة التي قَدّر لها أن تكون نموذجًا مثاليًّا

للجنس البشري أن تسلك سبلا ليست سبل التقوى. بل أقول لكم: إنّ الله تعالى قد أكد على هذا الأمر كثيرًا جدًّا بأنه إذا كان أحد في هذه الجماعة ثم لا يتحلّى بالصبر والحِلم والتسامح فليتذكر أنه ليس من هذه الجماعة." (الملفوظات، ج٧)

ثم أخذ حضرته عليه السلام منا العهد باجتناب كل نوع من البغي. قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٦٠)

معناها أن احكموا بحسب ما أمر الله به والرسولُ ﷺ، والأمر هو أن يُنبه المرء الحكومةَ على خطئها، وإذا لم تقبل فعليه أن يترك الأمر على الله تعالى فسوف يفعل الله بها ما يشاء. إلا أن على المرء أن يستمر في الدعاء بأن يوفق الله الحكام للقيام بالعدل.

ماذا قال النبي ﷺ عن اجتناب التمرد والتعاون مع الحكومة؟ ورد في رواية عن عَبْد اللهِ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً (إنها نبوءة أنكم سترون بعدي الترجيح والتفضيل) وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا" (أي أمورا مخالفة لتعاليم الإسلام). قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ". (صحيح البخاري، كتاب الفتن) أيْ أدوا إلى الحكام حقوقهم ولا تتمردوا عليهم وخروا أمام الله وادعوه أن ينجيكم من الظالمين أو يهديهم ويجعلهم عادلين. قال المسيح الموعود عليه السلام: "وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ... والتمرد أي الإخلال بالأمن إثم أكبر من القتل." (الحرب المقدسة)

وقال عليه السلام: "إذا كان الحاكم ظالما فلا تشيعوا سيئاته (أي لا تذكروه بالسوء بالرغم من ظلمه)، بل عليكم أن تصلحوا ما بأنفسكم فسوف يزيحه الله أو يصلحه. إن ما يصيب المرء من المصائب فإنما يصيبه نتيجة أعماله السيئة وإلا فإن نصرة الله تحالف المؤمن دائما، ويهيئ الله تعالى للمؤمن أسبابا من عنده. إن نصيحتي لكم هي أن تكونوا نموذجا للحسنات. لا تُتلفوا حقوق الله ولا حقوق عباده." (الحكم، عدد ٢٤/ ٥/١٩٠١ ص٩)

أي كونوا أسوة حسنة واتركوا الأمور الأخرى على الله تعالى. والآن علينا أن نفحص أنفسنا ما إذا كنا أسوة حسنة أم نحسب أنفسنا على الصواب متعنتين.

ثم نصح عليه السلام باجتناب الثوائر النفسانية لأنها توقع المرء في فخ الشيطان. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)

ثم أوصى النبي ﷺ بملك النفس عند الغضب كما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ". (صحيح البخاري، كتاب الأدب)
ثم ورد في رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: "لَا تَغْضَبْ". فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ". (صحيح البخاري، كتاب الأدب) الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.

قال المسيح الموعود عليه السلام عن عدم التأثر من الثوائر النفسانية: "اقبلوا بما يشهد عليه العقل والضمير وتتفق عليه كتب الله. لا تؤمنوا بالله بأسلوب يؤدي إلى اختلاف بين كتب الله. لا تزْنوا ولا تكذبوا ولا تنظروا بخائنة الأعين، واتقوا كافة سبل الفسق والفجور والظلم والخيانة والفساد والبغي. ولا تَدَعوا الثوائر النفسانية تتغلب عليكم، أقيموا الصلوات الخمس وذلك لأن فطرة الإنسان يطرأ عليها انقلابات. واشكروا نبيَّكم الكريم وصلّوا عليه، لأنه هو الذي هدى إلى سبيل معرفة الله من جديد بعد عصر الظلام." (مجموعة الإعلانات ج٢)

هذه هي خطة العمل لنا. إذا عملنا وفقها أحدثنا انقلابا عظيما كما قلت. وكل شرط من شروط البيعة يحمل في طياته حِكما كثيرة، وعلى كل أحمدي أن يتأمل فيها بين حين وآخر لتقوية إيمانه حتى يتمكن من أداء حق البيعة. وكما قلتُ تناولتُ اليوم شرطا واحدا فقط بحسب سعة الوقت، وفقنا الله تعالى للعمل به فهو خطة عمل لحضور الجلسة السنوية سواء كانوا في قاديان أو في دول أفريقيا التي تُعقد فيها الجلسات السنوية وهم يسمعونني جالسين في أماكنهم أو الذين يسمعونني في الأماكن الأخرى في العالم عبر القناة الفضائية الأحمدية.

لقد مضت إلى اليوم مئة عام على تأسيس لجنة إماء الله. فلتتذكر عضواتها أن عليهن أن يفحصن أنفسهن إلى أي مدى أحدثْن التغيير الطيب في أنفسهن في أثناء المئة عام مضت وأدّيْن حق البيعة أو سعيْن لذلك. وإلى أي مدى جعلن أولادهن ونسلهن ممن يؤدون حق البيعة ويؤمنون بدعاوى المسيح الموعود عليه السلام ويعملون بها. وإذا كنّتن قد ربَّيتّن نسلكنّ على هذا النحو فلا شك أنكن إماء الله الشاكرات له سبحانه وتعالى. فثمة حاجة لهذا الفحص اليوم، وحيثما وجدن تقصيرا ونقصا فليتعهّدن بعزم صميم أنهن سيدخلْن القرن القادم للجنة إماء الله عاقدات العزمَ أنهن سيجعلن أجيالهن ممن يؤدون حق البيعة. وفق الله الجميع للعمل بذلك.

كذلك يجب على جميع حضور الجلسة، كيفما حضروها، أن يتعهدوا أنهم سيحدثون تغييرا طيبا في أنفسهم وسيوفون بعهد بيعتهم بكل ما لديهم من قدرات. وفقنا الله جميعا لذلك.

وعدد حضور الجلسة في قاديان الذي وصلني قبل قليل هو ١٤٥٠٠ تقريبا ويمثّلون ٣٧ دولة. وفقهم الله تعالى للاستفادة من هذه الجلسة، وكذلك الذين يحضرونها جالسين في أماكنهم وفي البلاد التي ذكرتها وفقهم جميعا للاستفادة من الجلسة. تعالوا ندعُ. حفظ الله تعالى الجميع. (الدعاء)